جامـــعة واســـط
مجلـــــــة كليـــــــة التربيـــــة

العـدد الخامس والأربعون / ج1
تشرين الثاني /2021

أثر القرآن الكريم في الشعر العباسي

م.م. أكرم حازم محمد بشير
ديوان الوقف السني / دائرة التعليم الديني والدراسات الإسلامية

الملخص:

عنيت هذه الدراسة بالكشف عن أثر القرآن الكريم في الشعر العباسي، وقد تبين أن الشعر في العصر العباسي كان يمتاح من المعين القرآني، وأن الشعراء قد استلهموا المعاني والدلالات القرآنية في أشعارهم، وظهر الأثر القرآني في كافة أغراض الشعر العباسي، فقد استلهموا القيم القرآنية في شعر المدح، ووظفوا القيم السلبية في الهجاء، وبرزت أفكار: الصبر، والاحتساب، والدعاء بالفوز بالجنة ومصير الصالحين وغيرها من الأفكار القرآنية في الرثاء، كما تجلى الأثر القرآني في الغزل، على الرغم مما قد يبدو من صعوبة ظهور الأثر القرآني فيه، أما الزهد فقد تجلت فيه الحكم والإشارات القرآنية أكثر مما تجلت في غيره، وزهديات أبي العتاهية هي خير ما يمثل ذلك.

وتجلى الأثر القرآني في التشكيل الفني للشعر العباسي أيضًا؛ فقد وظف الشعراء كثيرًا من ألفاظ المعجم القرآني في شعرهم، كما استلهموا معانيه في تشكيل صورهم وأخيلتهم الفنية؛ مما يعني أن الأثر القرآني قد تجلى في الشعر العباسي، سواء من الناحية الموضوعية أو من الناحية الفنية التشكيلية.

الكلمات المفتاحية: أثر القرآن، الشعر العباسي، موضوعات الشعر العباسي، التشكيل الفني

The impact of the Noble Qur'an on Abbasid poetry

Akram Hazem Muhammad Bashir
The Sunni Endowment Office - Department of Religious Education and Islamic Studies

Abstract:

This study was concerned with revealing the effect of the Noble Qur'an on Abbasid poetry, and it has been shown that poetry in the Abbasid era was available from the Qur'anic specification, and that the poets were inspired by the Qur'anic meanings and connotations in their poetry. Praise, and they employed negative values in satire, and ideas emerged: patience, reckoning, praying for the victory of paradise and the fate of the righteous and other Qur'anic ideas in lamentation, and the Qur'anic effect was evident in spinning, despite what may seem difficult for the Qur'anic effect to appear in it. In it the ruling and the Qur'anic references are more than what was revealed in others, and the ascetics of Abu Al-Ataheya are the best representations of this.

The Qur'anic influence was evident in the artistic formation of Abbasid poetry as well. The poets employed many terms in the Qur'anic dictionary in their poetry, and they were inspired by its meanings in shaping their artistic images and imaginations. Which means that the effect of the Qur'an was evident in Abbasid poetry, both from an objective point of view or from a technical point of view.

Key words: The effect of the Qur'an, Abbasid poetry, quotation, artistic quotation, Abbasid poetry themes, artistic composition.

المقدمة:

حظي العصر العباسي بثلة من الشعراء الأفذاذ، أمثال: أبو العتاهية (130هـ– 213هـ)، وأَبو تَمّام (188هـ– 231 هـ)، والبحتري (205 هـ– 284 هـ)، وأبو الطيب المتنبي(303هـ–354هـ) وأبو العلاء المعري (363هـ– 449هـ) وغيرهم ممن كان لهم إسهام بارز في إثراء الشعر العربي كله، وليس الشعر العباسي فحسب.

وقد تضافر على تطوير حركة الشعر في العصر العباسي عوامل عدة: سياسية، واجتماعية، واقتصادية ودينية وثقافية (ضيف,1966: 9). وكان الأثر القرآني– بأعتباره أهم الروافد الثقافية والإسلامية في العصر العباسي– بارزًا ومتجليًا في الشعر العباسي.

ويعنينا– في هذه الدراسة– أن نفصل أثر القرآن الكريم في الشعر العباسي، وإلى أي حد تمثل الشعراء القرآن الكريم وتأثروا بمعانيه وألفاظه وصوره في موضوعاتهم الشعرية المختلفة.

وقد انتهجت في الدراسة المنهج التحليلي الفني، كما أفادت من المنهج التاريخي في ربط النصوص بمناسباتها وأحداثها. وبنيت الدراسة من مقدمة ومبحثين وخاتمة موزعة على النحو التالي:

المقدمة:

المبحث الأول: أثر القرآن في موضوعات الشعر العباسي

- المدح
- الهجاء
- الغزل
- الرثاء
- الزهد

المبحث الثاني: أثر القرآن في التشكيل الفني للشعر العباسي:

- أثر القرآن في التشكيل اللغوي
- أثر القرآن في التشكيل الصوري

الخاتمة

المصار والمراجع

المبحث الأول:

أثر القرآن الكريم في موضوعات الشعر العباسي:

تجلى أثر القرآن الكريم في موضوعات الشعر العباسي على اختلافها، فلم يكن القرآن كتابًا عاديًا، بل كان دستورًا شاملًا لكل مناحي الحياة، فهو دعاء المسلمين في المسجد "ونظامهم في البيت، ومنهاجهم في العمل، ودستورهم في الحكومة؛ فسرى هديه فيهم مسرى الروح، ونزل وحيُه منهم منزل الطبع، وأثَّر في ألسنتهم وأفئدتهم ما لم يؤثِّره كتاب سماوي آخر في أهله" (الباقوري, 1987: 93).

والقرآن –بالإضافة لكونه يعبر عن المثل العليا والأخلاق الفضلى– واضح في أسلوبه، معجز في بلاغته، "ولا ريب أن ذلك من شأنه أن يحملهم على إدامة النظر فيه وشدة التأمل له، وأن يحملهم كذلك على محاكاته والتأسِّي به في ألفاظه وأساليبه ومعانيه؛ "فإن النفوس مفطورة على حب الكمال ، ومحاولة السعي إلى إدراكه والجري في طريقه" (الباقوري, 1987: 12).

ويمكننا أن نتلمس الأثر القرآني في موضوعات الشعر العباسي فيما يلي:

المدح:

المدح أبرز موضوعات الشعر العربي، وهو موضوع شعري معروف منذ العصر الجاهلي, وقد ساعد على بروز الأثر القرآني فيه بوضوح في العصر العباسي استلهام الشعراء لما في القرآن من قيم ومبادئ وسعيهم لإسباغها على ممدوحيهم، على شاكلة قول البحتري يمدح الخليفة المتوكل:

اللهُ مَكَّنَ لِلخَليفَةِ جَعفَرٍ مُلكًا يَحَسِّنُهُ الخَليفَةُ جَعفَرُ
نُعمى مِنَ اللهِ اصطَفاهُ بِفَضلِها وَاللهُ يَرزُقُ مَن يَشاءُ وَيَقدُرُ
وَمَشَيتَ مِشيَةَ خاشِعٍ مُتَواضِعٍ لِلَّهِ لا يُزهى وَلا يَتَكَبَّرُ

(الطائي, 1963: 1071)

فقد عدد الشاعر صفات الخليفة، وأشار إلى أنها نعم من الله عليه، فضله بها على غيره، ثم استمد الشاعر من قوله تعالى: ﴿**وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾(سورة النور, 38). ليؤكد على اختصاص الله لممدوحه بما رزقه من صفات ونعم.

ويستلهم البحتري في البيت الثالث قوله جل شأنه: ﴿**وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا**﴾ (سورة الإسراء، 37). ليضفي على ممدوحه تواضعًا يزين مشيته، ويرفع قدره بين الناس.

ويمضي البحتري في قصيدته مادحًا المتوكل:

فَلَوَ اَنَّ مُشتاقًا تَكَلَّفَ غَيرَ ما ... في وُسعِهِ لَمَشى إِلَيكَ المِنبَرُ
أُبِدتَ مِن فَصلِ الخِطابِ بِخُطبَةٍ ... تُنبي عَنِ الحَقِّ المُبينِ وَتُخبِرُ

(ديوان البحتري: 173)

فقد جعل ممدوحه –في البيت الثاني– مؤيدًا من الله بقوة الخطاب والفصل بين الناس في خصوماتهم ومنازعاتهم، وواضح أن الشاعر قد استمد ذلك من قوله تعالى في شأن داوود عليه السلام: ﴿**وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ**﴾ (سورة ص، 20).

ويقول أبو تمام يمدح مالك بن طوق التغلبي:

لك في رسولِ اللهِ أعظم أسوة ... وأجلَّها في سنةٍ وكتابِ

(التبريزي, 1994: 55/1)

فالشاعر هنا يبني مديحه على أساس إسلامي خالص؛ حيث جعل من النبي صلى الله عليه وسلم مثالًا، ورأى في ممدوحه تطبيقًا عمليًا له، وكأن الممدوح يتمثل قيم القرآن والسنة ويضعها نصب عينيه، وقد استمد أبو تمام بيته من قوله تعالى: ﴿**لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا**﴾(سورة الأحزاب، 21).

ويقول في مدح عبد الله بن طاهر في خراسان:

أبهذا العزيز قد مسنا الضـ ... ـر جميعا وأهلنا أشتات
ولنا في الرجال شيخ كبير ... ولدينا بضاعة مزجاة
قل طلابها فأضحت خسارا ... فتجاراتنا بها ترهات
فاحتسب أجرنا وأوف لنا الكيـ ... ـل وصدق فإننا أموات

(الصولي, د.ت: 30/1)

يبدو جليًا أن الشاعر قد استلهم مديحه في هذه المقطوعة مما جاء في قصة يوسف عليه السلام على لسان إخوته في قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ**﴾ (سورة يوسف، 88). ولا نستطيع أن نتصور شاعرًا يظهر الأثر القرآني في شعره على هذا النحو إلا إذا كان مشبعًا بالثقافة الإسلامية، مُكبًا على مصادرها، والقرآن الكريم –بلا شك– هو رأس المصادر الإسلامية وأهمها، وتمثل أبو تمام لقصة يوسف عليه السلام كما جاءت في القرآن الكريم يكشف من ناحية عن براعة الشاعر في تمثل الأثر القرآني، كما يكشف عن قوة وتغلغل الأثر القرآني في نفسه من ناحية أخرى.

ويستمد أبو نواس صفة التقوى من قوله تعالى: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ**﴾ (سورة آل عمران، 102). ويسبغها على ممدوحه هارون الرشيد في قوله:

لقد اتقيتَ الله حقَّ تُقاتـه وجَهَدْتَ نفسك فوق جُهدِ المُتقي

(أبو نواس, 1937: 279)

وظهور الأثر القرآني في شعر شاعر كأبي نواس، عُرف – أكثر ما عُرف– بخمرياته، يبين إلى أي حد شاعت الثقافة القرآنية في مدائح العصر العباسي، كما يكشف عن تمثل الشعراء لمنظومة المعاني والقيم القرآنية، واعتبارها معيارًا لقيم المدح آنذاك، كما فعل شاعرنا في تمثل قيمة التقوى بحسب مدلولها القرآني.

الهجاء:

تمثل الأثر القرآني في شعر الهجاء بلونيه: الشخصي والسياسي في الشعر العباسي، ومن نماذجه قول ابن الرومي في هجاء بخيل:

يُقتِّر عيسى على نفسه وليسَ بباقٍ ولا خالدِ
فلو استطاع لتقتيرة تَنَّفس من مِنْخرٍ واحدِ

(النويري, 2002: 309/3)

والإقتار هو شدة البخل، وقد استمده ابن الرومي هجاءه من قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ (سورة الفرقان، 67).

ويقول البحتري في هجاء أحد معاصريه (أحمد بن صالح):

يَبيتُ مُعَنّى النَفسِ مِن لُؤمِ أَصلِهِ بِأَن يَقبِضَ الرِزقَ الَّذي اللهُ باسِطُه

(ديوان البحتري: 1231)

فالشاعر يسفه أصل مهجوه، ويصوره بخيلًا مقترًا، يضيق الأرزاق على الناس، والله –عز وجل– هو القابض والباسط لأرزاق العباد، واستلهم البحتري هجاءه من قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (سورة البقرة، 245).

أما الهجاء السياسي فقد اتجه نحو التركيز على الانحراف الديني والفساد ونسب الزندقة للمهجوين، ومنه قول دعبل الخزاعي في هجاء "أبو عباد" كاتب الخليفة المأمون:

أَولى الأُمورِ بِضَيعَةٍ وَفَسادِ أَمرٌ يُدَبِّرُهُ أَبو عَبّادِ
فَاِشدُد أَميرَ المُؤمِنينَ وِثاقَهُ فَأَصَحُّ مِنهُ بَقِيَّةَ الحَدّادِ

(العباسي, 1947: 195/2)

فالشاعر يصم كاتب الخليفة بالضيعة والفساد، ثم يحرض عليه أمير المؤمنين ليشد وثاقه، مستمدًا ذلك من قوله تعالى: ﴿**حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ**﴾ (سورة محمد، 4). والصورة التي استلهمها الشاعر "فاشدد .. وثاقه" كناية عن شدة غيظه على مهجوه، ورغبته في معاقبته وإذلاله جراء فساده وسوء تدبيره، وقد أسهمت هذه الصورة في كشف ما يعتمل في نفس الشاعر، وبينت شدة حنقه على المهجو.

الغزل:

على الرغم من أن موضوع الغزل قد يبدو بعيدًا عن التأثر بالقرآن الكريم، إلا أننا نجد أن شعراء العصر العباسي قد استلهموا النص القرآني في غزلهم، ومنه قول أبي تمام:

قد أوتيت من كل شيء نعمة وددا وحسنا في الصبا مغموسا
لولا حداثتها وأنى لا أرى عرشا لها لحسبتها بلقيسا

(شرح ديوان أبي تمام: 369/2)

فقد اختار الشاعر أن يستلهم لغزله سياقًا مناسبًا من القرآن الكريم، وهو ما وجده في حكاية القرآن الكريم على لسان الهدهد عن ملكة سبأ: ﴿**إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ**﴾ (سورة النمل، 23).

أما البحتري فإنه يعرض في غزله لفكرة طالما ترددت في شعر الغزل، وهي فكرة الوشاة بين المحبوبين:

لِماذا أَرَدتِ الهَجرَ مِنّي وَلَم أَكُن ... لِعَهدِكُمُ لي بِالمَذوقِ المُوارِبِ
فَإِن كانَ هَذا الصَرمُ مِنكُم تَدَلُّلاً ... فَأَهلاً وَسَهلاً بِالدَلالِ المُخالِبِ
وَإِن كُنتِ قَد بُلِّغتِ يا عَلوَ باطِلاً ... بِقَولِ عَدُوٍّ فَاسأَلي ثُمَّ عاقِبي
وَلا تَعجَلي بِالصَرمِ حَتّى تَبَيَّني ... أَمُبلِغَ حَقٍّ كانَ أَم قَولَ كاذِبِ

(ديوان البحتري: 310)

يتساءل الشاعر عن سبب رغبة محبوبته في هجره، وقد كان لها وفيًا محبًا، ثم يمضي مفندًا سبب هذه الرغبة؛ وهي أحد أمرين، إما أنها تتدلل بحبها عليه، وتستمتع بدلالها وتمنعها، فهو يرجو هذا ويرحب به، أو أنها قد بلغها عنه قول باطل فيطلب منها أن تتحقق ثم تعاقب، ولا تلجأ لإلى هجره حتى تتيقن مما بلغها عنه أحقٌ هو أم كذب.

ومع أن فكرة الوشاة بين المحبين شائعة في شعر الغزل قديمه وحديثه، غير أن الشاعر هنا يستلهم في البيتين الأخيرين قول الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ**﴾ (سورة الحجرات، 6).

الرثاء:

كان الرثاء من أكثر فنون الشعر في العصر العباسي تأثرًا بالقرآن الكريم في ألفاظه ومعانيه؛ فقد شاعت فيه أفكار: احتساب الأجر عند الله ، والصبر، والدعاء بالجنة ومصير الصادقين والمؤمنين وصلاة الملائكة والطيبين، وترسَّخ اليقين بهذه المعاني؛ " فقد أدرك الشاعر المسلم كُنه الموت وغايته وأنه ليس نهاية المطاف بل هو بداية لشوط أخر– شوط أبدي– في الحياة الآخرة يسعد فيها

الصالحون ، ويشقى فيها العاصون– فاختفت – أو كادت– نبرة التفجُّع الصاخب، والعويل الحاد كما عهدناه في رثاء الجاهلية ، وشاع الإيمان بالله ، والوعي بحقائق الحياة وما بعدها"
(أبو المجد, 2000: 75–76).

ومن نماذج الأثر القرآني في الرثاء، قول البحتري في رثاء ابنة محمد بن حميد الطوسي:

وَسَفاهٌ أَن يَجزَعَ المَرءُ مِمّا كانَ حَتماً عَلى العِبادِ قَضاءَ
وَلِماذا تَتَتَبَّعُ النَفسُ شَيئاً جَعَلَ اللهُ الفِردَوسَ مِنهُ بَواءَ
وَعَلى غَيرِهِنَّ أُحزِنَ يَعقو بُ وَقَد جاءَهُ بَنوهُ عِشاءَ
وَاِستَزَلَّ الشَيطانُ آدَمَ في الجَنـ نَةِ لَمّا أَغرى بِهِ حَوّاءَ

(ديوان البحتري: 41–41)

فإن الشاعر يبتدر أبياته بتسفيه الجزع على المصاب على الرغم من شدته؛ لأنه حتم مقضيٌّ ينتهي إليه الخلق جميعًا، والمعنى مأخوذ من قوله تعالى: ﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ**﴾ (سورة الرحمن، 26). وقوله جل شانه: ﴿**إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ**﴾ (سورة الزمر، 30). وفي الأبيات أيضًا إشارات لعدد من آيات القرآن الكريم؛ فلفظ الفردوس في البيت الثاني مستمدة من قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا**﴾ (سورة الكهف، 107). والبيت الثالث فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿**وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ**﴾ (سورة يوسف، 16). والبيت الأخير إشارة إلى قوله تعالى: ﴿**فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ**﴾ (سورة البقرة، 36).

ومن الرثاء في العصر العباسي رثاء النفس، ومنه قول أبي فراس الحمداني في رثاء نفسه، لما أيقن بدنو أجله بعد وقوعه في الأسر:

لَولا العَجوزُ بِمَنبِجٍ ما خِفتُ أَسبابَ المَنِيَّه
لَكِن قَضاءُ اللهِ وَال أَحكامِ تَنفُذُ في البَرِيَّه
يا أُمَّتا لا تَحزَني وَثِقي بِفَضلِ اللهِ فِيَّه
يا أُمَّتا لا تَيأَسي لِلَّهِ أَلطافٌ خَفِيَّة
أوصيكِ بِالصَبرِ الجَميـ لِ فَإِنَّهُ خَيرُ الوَصِيَّة

(الحمداني, 2004: 222–223)

فقد استلهم أبو فراس في أبياته عدة آيات من القرآن الكريم؛ فقد استلهم في البيت الثاني فكرة الإيمان بالقضاء والقدر من قوله جل شأنه: ﴿**وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا**﴾ (سورة آل عمران، 145). واستلهم فكرة التسليم والثقة بالله في البيت الثالث من قوله تعالى: ﴿**لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ (سورة يونس، 62). كما استلهم فكرة التفاؤل والثقة بالله من قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ**﴾ (سورة يوسف، 87).

الزهد:

ليس الزهد ظاهرةً جديدة على العصر العباسي، إنما هو من عصر الصحابة، ثمّ العصر الأموي الذي برز فيه الكثير من القصاص والوعاظ الذين نجد في أشعارهم بوادر للزهد وقطع الأسباب المتصلة بالقلوب، ثم في العصر العباسي أصبح الشعر الذي ينظم فناً بذاته، يواجه تيار الزندقة والانحراف والمجون (ميموني, 2018: 18).

وخير من تمثل القرآن الكريم في شعر الزهد في العصر العباسي هو أبو العتاهية، ومن نماذج زهدياته قوله:

المَرءُ آفَتُهُ هَوى الدُنيا	وَالمَرءُ يَطغى كُلَّما اِستَغنى
إِنّي رَأَيتُ عَواقِبَ الدُنيا	فَتَرَكتُ ما أَهوى لِما أَخشى
فَكَّرتُ في الدُنيا وَجِدَّتِها	فَإِذا جَميعُ جَديدِها يَبلى
وَلَقَد طَلَبتُ فَلَم أَجِد كَرَماً	أَعلى بِصاحِبِهِ مِنَ التَقوى
ما زالَتِ الدُنيا مُنَغِّصَةً	لَم يَخلُ صاحِبُها مِنَ البَلوى
لا تَغبِطَنَّ أَخاً بِمَعصِيَةٍ	لا تَغبِطَن إِلّا أَخا التَقوى
وَالحَقُّ أَبلَجُ لا خَفاءَ بِهِ	مُذ كانَ يُبصِرُ نورَهُ الأَعمى
وَالرِزقُ قَد فَرَضَ الإِلَهُ لَنا	مِنهُ وَنَحنُ بِجَمعِهِ نُعنى

(السلمان, 2001: 246/2)

فأبيات أبي العتاهية تفيض زهدًا وحِكمًا، وكلها مستوحاة من القرآن الكريم؛ فهو– على سبيل المثال– قد استلهم البيتين: الرابع والسادس من قوله تعالى: ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ (سورة الحجرات، 13). واستلهم البيت الأخير من قوله جل شأنه: ﴿**وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين**﴾ (سورة هود، 4).

وقد نظم كثير من شعراء العصر العباسي في الزهد، وربما وجدنا شاعرًا ماجنًا كأبي نواس يستيقظ من مجونه لينظم في الزهد، متمثلًا الأثر القرآني، على شاكلة قوله:

يا رب إن عظمت ذنوبي كثرةً	فلقد علمت بأن عفوك أعظمُ
أدعوكَ ربِّ كما أمرتَ تضرعاً	فإذا رددت يدي فمن ذا يرحمُ
إنْ كانَ لا يرجوك إلا مُحسنٌ	فبمن يلوذ ويستجير المجرم
مالي إليكَ وسيلةً إلا الرجا	وجميل ظني, ثمَّ إني مسلمُ

(ديوان أبي نواس: 232/2–233)

فإن مشاعر الندم والتوبة التي استولت على نفس الشاعر، وعبر عنها في أبياته مستمدة من القرآن الكريم؛ فالشاعر يشير في البيت الثاني إلى قوله تعالى: ﴿**ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً**﴾ (سورة الأعراف، 55). ويستمد البيت الثالث من قوله تعالى: ﴿**قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ**﴾ (سورة المؤمنون، 88).

وعلى هذا النحو نستطيع أن نجد القرآن الكريم ماثلًا في فنون الشعر العباسي، ولعلنا نستطيع بناء على ذلك أن نجزم أن الأثر القرآني قد تمثل في موضوعات الشعر العباسي، وأن الشعراء كانوا يستمدون من آيات القرآن الكريم ويستلهمون معانيه في أغراضهم الشعرية على اختلافها.

المبحث الثاني:

أثر القرآن الكريم في التشكيل الفني للشعر العباسي:

التشكيل اللغوي: يمكننا أن نلمس بوضوح ألفاظ المعجم القرآني في الشعر العباسي؛ فلا نكاد نجد شاعراً صغيراً أو كبيراً ، صالحاً أو فاسقاً إلا قد أخذ منه بنصيب؛ "فهو معجمهم اللغوي والأدبي الذي ساروا على هديه مهما اختلفت أقطارهم وتباعدت أمصارهم" (العصر الإسلامي: 34). ونحن لا نسعى إلى استقصاء المعجم القرآني وتتبع ألفاظه فى الشعر العباسي، وإنما نسعى إلى الاستدلال على أثر المعجم القرآني فى الشعر العباسي، ومدى توفيق الشاعر في اختيار لفظة بعينها لخدمة موضوعه.

يقول المتنبي في مدح سيف الدولة:

هنيئًا لأهل الثغر رأيك فيهم وأنك حزب الله صرت لهم حزبا

(المتنبي, د.ت: 22/1)

فإن الدلالة التي يرمي إليها الشاعر ليست بعيدة عن الدلالة القرآنية، وقد اشتق الشاعر وصفه لممدوحه بأنه(حزب الله) من قوله تعالى: ﴿**فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ** ﴾ (سورة المائدة، 56).

ويقول الصنوبري متغزلًا:

لو حمل الثقلان ما حملت من شوق لأثقل حمله الثقلين

(الصنوبري, 1998: 449)

فإن لفظة (الثقلان) التي استخدمها الشاعر، هي لفظة قرآنية موجزة للإشارة إلى الإنس والجن، وقد أحسن الشاعر في توظيفها للتعبير عما ينوء به صدره من الحب والشوق.

ويقول أبو تمام في الرثاء:

تردّىَ ثياب الموت حمرا فما أتى لها الليل إلا وهي من سندس خضرٍ

(شرح ديوان أبي تمام: 81)

فلباس السندس الخضر هنا هو إشارة إلى الجنة، وهي مستمدة من قوله تعالى: ﴿**عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ** ﴾ (سورة الإنسان، 21)، وهي إشارة طيبة إلى النهاية الطيبة التي آل إليها المتوفى.

ويقول أبو تمام في المدح:

لَمّا أَبَوا حُجَجَ القُرآنِ واضِحَةً كانَت سُيوفُكَ في هاماتِهِم حُجُجا
أَقبَلتَهُ فَخمَةً جَأواءَ لَستَ تَرى في نَظمِ فُرسانِها أَمتاً وَلا عِوَجا

(ديوان أبي تمام: 336–337)

يلتقط أبو تمام سمة النظام والاتساق بين صفوف جند ممدوحة، ويعبر عنها مستعينًا بلفظتين قرآنيتين (أمتًا، عوجًا) من قوله تعالى: ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا (105) فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (106) لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا**﴾ (سورة طه، 105– 106).

ويقول أبو العلاء المعري:

إن أَدخُلِ النارَ فَلي خالِقٌ يَحمِلُ عَنّي مُثقَلاتِ العَذاب
يَقدِرُ أَن يُسكِنَني رَوضَةً فيها تَرامى بِالمِياهِ العِذاب
لا أُطعَمُ الغِسلينَ في قَعرِها لا أُغادى بِالحَميمِ المُذاب

(المعري, 1923: 145/1)

فألفاظ (الغسلين، والحميم) هي ألفاظ قرآنية استمدها أبو العلاء من قوله تعالى: ﴿**فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ وَلا طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ**﴾ (سورة الحاقة، 35– 36). والشاعر هنا في مقام الرجاء والتضرع إلى الله.

ويقول الشريف الرضي:

ما لي إِلى الدُنيا الغَرورَةِ حاجَةٌ فَلَيَخزَ ساحِرُ كَيدِها النَفّاثُ

(الرضي, 1999: 295/1)

فاللفظ الذي وصف الشاعر به الدنيا "الغرورة" مستمد من قوله تعالى: ﴿**وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ**﴾ (سورة الجديد، 20). وهو يتناسب مع غرض الشاعر، ويعبر عما يرمي إليه من تحقير الدنيا.

التشكيل الصوري:

يلجأ الشعراء– لصياغة أخيلتهم – إلى عدة وسائل فنية تعينهم على عملية التصوير، والتأليف بين المتباعدات، وإنشاء العلاقات بين الأشياء؛ كالتشبيه والاستعارة والكناية والمفارقة وغيرها من الوسائل الفنية والأدوات التشكيلية التي يجسد بها الشاعر عاطفته ورؤيته، ويشخص من خلالها معانيه وأخيلته؛ ليعبر عن تجربته ومشاعره تعبيراً إبداعياً مؤثراً (عبدالعظيم, 2013: 201).

وقد استمد الشعراء في العصر العباسي من الصور القرآنية، ووظفوها لخدمة موضوعاتهم وأغراضهم الفنية فهذا السري الرفاء يقول مادحًا ومصورًا قوة انقضاض جيش ممدوحه على جموع الأعداء:

لَمَّا تَرَاءَى لَكَ الْجَمْعُ الَّذِي نَزَحَتْ أَقْطَارُهُ وَنَأَتْ بُعْدَاً جَوانِبُهُ
يَهْوِيْ إِلَيْهِ بِمِثْلِ النَّجْمِ طاعنُه وَيَنْتَحِيْهِ بِمِثْلِ الْبَرْقِ ضارِبُه

(الرفاء, 1936: 20)

وتتراءى الملامح القرآنية في صورة الشاعر؛ فقد استمدها من قوله تعالى:﴿**وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى**﴾ (سورة النجم: آية 1). وقوله جل شأنه:﴿**إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ**﴾ (سورة الصافات: آية 10). وارتباط الصورة الأخيرة برصد مردة الشياطين ربما يحملها أبعاداً أخرى؛ فإن شهاب الرمح الذي يلاحق الأعداء، ويسقط عليهم كالنجم يجعل الأعداء بالنسبة للشاعر بمثابة الشياطين الماردة، وجيش الممدوح هو قوة الله التي يسلطها على أعدائه ويترصدهم بها.

ويقول البحتري مادحًا:

أَظهَرتَ عِزَّ المُلكِ فيهِ بِجَحفَلٍ لَجِبٍ يُحاطُ الدينُ فيهِ وَيُنصَرُ
خِلنا الجِبالَ تَسيرُ فيهِ وَقَد غَدَت عُدَدًا يَسيرُ بِها العَديدُ الأَكثَرُ
وَالأَرضُ خاشِعَةٌ تَميدُ بِثِقلِها وَالجَوُّ مُعتَكِرُ الجَوانِبِ أَغبَرُ

(ديوان البحتري: 1072–1073)

تتجلى الصورة القرآنية هنا في البيت الثاني حيث صور جنود ممدوحه بالجبال تسير على سبيل الاستعارة، مستمدًا صورته من قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ**﴾ (سورة التكوير، 3). وتعبر الصورة عن دلالات القوة والرهبة المستمدة من تصوير الجنود بالجبال.

وفي البيت الأخير نرى الشاعر يصور رهبة أرض المعركة، التي يخيم الموت عليها من كل جانب، حتى صار الرعب باديًا في كل مكان، فقد شخص الأرض بإنسان خاشع، تأخذه رهبة الموقف، على سبيل الاستعارة، مستمدًا صورته من قوله تعالى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً**﴾ (سورة التكوير، 3).

ويقول أبو العلاء المعري:

وَإِنَّما غودِرَ في مُدَّني كَقابِ قَوسٍ مُدَّ أَو بَعضِ قاب

(اللزوميات: 146/1)

يشبه أبو العلاء ما بقي من عمره بالمسافة ما بين وتر القوس إلى كبدها، وهي مسافة تعادل كف الإنسان (المُد) تقريبًا، وفي الصورة كناية أيضًا عن دنو أجله واقتراب ساعة موته، وقد استعان الشاعر في بناء صورته بقوله تعالى: ﴿**فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ**﴾ (سورة النجم، 9).

ويقول الشريف الرضي في الزهد:

أَتُراهُمُ لَم يَعلَموا أَنَّ التُقى أزوادُنا وَدِيارُنا الأَجداثُ

(ديوان الشريف الرضي: 295/1)

والشاعر هنا يشبه التقوى بالزاد الذي يتقوى به المسافر، والسفر الذي يعنيه الشاعر سفر أبدي، لا رجعة منه، وليس هناك ما يتقوى به الإنسان خير من التقوى، والصورة مستمدة من قوله تعالى: ﴿**وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ**﴾ (سورة البقرة، 197).

الخاتمة:

اشتملت الدراسة على مبحثين؛ عُني المبحث الأول بدراسة أثر القرآن في موضوعات الشعر العباسي، وعُني المبحث الثاني بدراسة التشكيل الفني فيه.

وقد تناول المبحث الأول موضوعات: المدح والهجاء والرثاء والزهد في الشعر العباسي. وظهر الأثر القرآني في شعر المدح في العصر العباسي من خلال استلهام الشعراء لما في القرآن من قيم ومبادئ وإسباغها على ممدوحيهم، فقد شاعت الثقافة القرآنية في مدائح العصر العباسي، وتمثل الشعراء منظومة المعاني والقيم القرآنية، واعتبروها معيارًا لقيم المدح آنذاك، كما تمثل الأثر القرآني

في شعر الهجاء بلونيه: الشخصي والسياسي في الشعر العباسي، وظهر الأثر القرآني في شعر الغزل من خلال استلهام الشعراء لبعض المعاني والسياقات القرآنية وتوظيفها في شعر الغزل، وكان الرثاء من أكثر فنون الشعر في العصر العباسي تأثرًا بالقرآن الكريم في ألفاظه ومعانيه؛ فقد شاعت فيه أفكار: احتساب الأجر عند الله ، والصبر، والدعاء بالجنة ومصير الصادقين والمؤمنين وصلاة الملائكة والطيبين، فقد شاع الإيمان بالله، والوعي بحقائق الحياة وما بعدها، واختفت – أو كادت– نبرة التفجُّع الصاخب، والعويل الحاد كما عهدناه في رثاء الجاهلية.

وفي المبحث الثاني تناولت الدراسة أثر القرآن في التشكيل الفني للشعر العباسي؛ وقد ظهر الأثر القرآني جليًّا في التشكيل اللغوي للشعر العباسي؛ فلا نكاد نجد شاعراً صغيراً أو كبيراً، صالحاً أو فاسقاً إلا قد أخذ منه بنصيب؛ فهو معجمهم اللغوي والأدبي الذي ساروا على هديه مهما اختلفت أقطارهم ومذاهبهم، ومن هذه الألفاظ التي رصدتها الدراسة: حزب الله، الثقلان، السندس الخضر، الغسلين، الحميم، الغرور وغيرها من الألفاظ التي استمدها الشعراء من المعجم القرآني، كما ظهر الأثر القرآني في التشكيل الصوري؛ حيث استلهم الشعراء المعاني القرآنية في تشكيل صورهم وأخيلتهم الفنية، ووظفوها لخدمة موضوعاتهم وأغراضهم الشعرية.

المصادر:

القرآن الكريم.

(1) ضيف، شوقي (1966) تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، دار المعارف، مصر، ط16.

(2) الباقوري, أحمد حسن (1987) أثر القرآن الكريم في اللغة العربية، دار المعارف، مصر، ط4.

(3) الطائي، أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى التنوخي (1963) ديوان البحتري، تحقيق، حسن كامل الصيرفي، ط3، دار المعارف، م1.

(4) التبريزي، أبو زكريا يحيى بن علي بن محمد الشيباني (1994) شرح ديوان أبي تمام للخطيب التبيريزي، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه، راجي الأسمر، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، ج1.

(5) الصولي, أبو بكر محمد بن يحيى ،(د.ت), أخبار أبي تمام، تحقيق، بياترس حريندلر، المكتبة العربية، ج1.

(6) أبو نواس, الحسن بن هانئ (1937), ديوان أبي نواس تاريخه، رأي الشعراء فيه، نوادره، شعره، رتبه وشرح ألفاظه، محمود كامل فريد، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة.

(7) النويري، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري شهاب الدين (2002)، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط1، ج3.

(8) العباسي، عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد (1947) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، حققه وعلق على حواشيه وصنع فهارسه، محمد يحيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، بيروت، ج2.

(9) أبو المجد، محمد (2000) مراثي النبي ﷺ، مكتبة الآداب، القاهرة، ط3.

(10) الحمداني، أبو فراس (2004)، ديوان أبي فراس الحمداني، رواية، أبي عبد الله الحسين بن خالويه، نشره، سامي الدهان، وأحمد عكيدي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق.

(11) ميموني، فوزية ، (2018)، الزهد في العصر العباسي أبو العتاهية نموذجا، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة مستغانم، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، الجزائر.

(12) السلمان، أبو محمد عبد العزيز بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد المحسن، (2001)، مجموعة القصائد الزهديات: مطابع الخالد للأوفسيت، الرياض، ط1، ج2.

(13) المتنبي، أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبدالصمد الجعفي الكوفي الكندي أبو الطيب، (د. ت) ديوان أبي الطيب المتنبي، تحقيق، محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، ج1.

(14) الصنوبري، أحمد بن محمد بن الحسن بن مرار الضبي الحلبي أبو بكر (1998)، ديوان الصنوبري، تحقيق، إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1.

(15) المعري، أحمد بن عبَد الله بن سُلَيمان القضاعي التَنوخي أبو العلاء (1923) ديوان أبي العلاء المعري "اللزوميات"، تحقيق، أمين عبد العزيز الخانجي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج1.

(16) الرضي، السيد محمد بن الحسين بن موسى الملقب بالشريف الرضي (1999)، ديوان الشريف الرضي، شرحه وعلق عليه، مصطفى حلاوي، دار الأرقم، بيروت، ط1، ج1.

(17) عبد العظيم، محمد عصوة أحمد ، (2013)، شعر الجهاد في القرن الرابع الهجري دراسة فنية، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الفيوم، كلية دار العلوم، قسم الدراسات الأدبية.

(18) الرفاء، أبو الحسن بن أحمد المعروف بالسري الرفاء (1936) ديوان السري الرفاء، عنيت بنشره، مكتبة القدسي، القاهرة.